

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب – قسم علم النفس

العام الدراسي: 2017-2018

المادة: علم النفس التجريبي – المرحلة الرابعة

مدرس المادة: م. د. علي سعد البازي

رقم المحاضرة: 2 الجزء الثاني

عنوان المحاضرة: علم النفس التجريبي

ظهور علم النفس التجريبي

يمكن القول إن علم النفس التجريبي هو علم حديث نسبياً، إلا أنه مع هذا لم يبرز فجأة عندما أسس [فونت Wundt](#) أول مختبر لعلم النفس في [جامعة ليبزج](#) في ألمانيا عام 1879، إذ أن نمو أي علم من العلوم إنما يكون عادة نمواً تدريجياً مستمراً وما الاهتمام عادة بمؤسسي أي علم من العلوم إلا بغرض إقامة علامات أو مهنديات تفيد المشتغلين بالتأريخ في تحديد المراحل الزمنية واتجاهات التقدم لذلك العلم. ومع كل هذا فإن موضوع علم النفس التجريبي وتحديد الرواد الذين عملوا على تفرد كعلم مستقل، لازال موضع جدال، وإن كان هذا الجدل في حقيقة الأمر لا يستحق أن نوليه أي اهتمام.

فمنذ بدأ علم النفس التجريبي الحديث يأخذ شكلاً متبلوراً في منتصف القرن التاسع عشر، كان له قبل ذلك تاريخ طويل. فيمكن أن نتتبع جذوره في الفكر الفلسفي، والتي تبدأ –إذا شئنا– منذ عهد [أرسطو](#)، أو من فلسفة ديكارت الذي قسم عالم الخبرة إلى مادة وعقل. وهذه الثنائية حيرت علماء النفس لمدة ثلاثة قرون، إلا أن فخر حاربها ضمن حربه الفلسفية التي دافع فيها عن الروحانيات في مقابل الماديات.

والعامل الآخر مثل دوراً في هذه السيكولوجيا الحديثة كان من خلال اهتمامات علوم الفيزياء والفسولوجيا. ففي بادئ الأمر كانت المشكلات التي تعالجها [الفيزياء](#) تتعلق بالبصرييات والسمعيات. وبهذا تكون اهتماماتها قد اقتربت من تحليل الخبرة أكثر مما يفعله [علم النفس](#). فقد كان "[نيوتن](#)" هو الذي أجرى عام 1704 تحليلاً للإحساسات البصرية. وكان "بيير بوجيه" وهو عالم فيزيائي أول من حدد العتبة المميزة للضوء عام 1729. كما قاس "ديليزين" – وهو فيزيائي أيضاً – العتبة الفارقة للإحساس بطبقة صوتية. ثم دخل علماء الفسيولوجيا الميدان من خلال دراسات منفصلة. فقد اكتشف "شارلس بيل" إحساسات متميزة، مما جعل علماء الفسيولوجيا يفصلون ما بين دراساتهم لمشكلات الإحساس والحركة. ثم كان هناك عالم فسيولوجي آخر هو "فيبر" قامت دراساته عام 1834 على العتبات الفارقة للإحساس وبخاصة حاسة اللمس، وصاغ قانوناً يعرف باسمه حتى الآن. وفي عام 1805 قرر "هلمهولتز" – وهو عالم فسيولوجي – أن يصبح عالم [فيزياء](#)، فأولى اهتماماته لمشكلات الإحساس والإبصار.

وغي مثل هذا الجو من الدراسات العلمية كتب "فخنر" كتابه "القواعد السيكوفيزيكا" عام 1860. وكان علم النفس التجريبي – كعلم – قد أخذ طريقه في الظهور. فعل يمكن أن نعتبر "فخنر" مؤسساً لعلم النفس التجريبي؟ ... في الواقع يبدو أنه من الصعب أن نقرر ذلك. فلم يكن "فخنر" يسعى إلى إقامة علم جديد، وكل ما كان يريد هو أن يدين المادة عن طريق إقامة علاقة إمبريقية بين العقل والجسم. بل إننا لو عدنا بالتاريخ إلى الوراء قبل عام 1860 لوجدنا أنه كانت هناك دراسات تجريبية لمشكلات ذات طابع نفسي بحثها علماء الفلك والفلاسفة والمشتغلون بالعلوم الطبيعية. وكان هؤلاء العلماء أول من وجه بذلك التساؤل الكبير عما إذا كانت العمليات النفسية يمكن دراستها بطرائق التجريب.

وإذا لم نستطع القطع بأن "فخنر" كان رائد علم النفس التجريبي، فهل يمكن القول بأن "هلمهولتز" هو الوؤسس لهذا العلم؟ في حقيقة الأمر لم يكن "هلمهولتز" يهدف إلى ذلك أيضاً. فكل ما كان يهتم به هو تدعيم دراساته عن طريق الاهتمام بالحقائق والمقاييس المتعلقة

بالظواهر السمعية والبصرية. ومع ذلك فلا يمكن على الإطلاق إلا أن يقترن اسمه بتجسيد وبلورة علم النفس التجريبي.

وهل يعتبر "فونت" المؤسس الحقيقي لعلم النفس التجريبي؟ لقد كان فونت فعلاً يحاول أن يقيم أو يؤسس علماً تجريبياً جديداً. إلا أنه كان صغير السن بعد، ولم يكن لديه الكثير مما يُسهم به في هذه المادة حتى عام 1863. ثم بدء يكتسب قدراً من الشهرة عندما ظهر له مرجع في عام 1874. وأخيراً نجح في إقامة مختبر لبيزج عام 1879.

وخلال تلك الفترة من القرن التاسع عشر قدم العلماء طرائق مناسبة لدراسة كثير من العمليات العقلية العليا مثل: التعلم, التذكر, الإدراك الإحساسي, الإحساس. ولقد كانت هذه الدراسات التاريخية تمثل المشكلات الأولى التي أمكن دراستها بنجاح عن طريق التجريب المختبري. وكانت بمثابة الموضوعات الأساسية التي من أجلها كان هناك تطور في استخدام الأساليب التجريبية